

## ٢ - العجوزان (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

بلا شيطان لأن الهرم قد أدب أعصابك ...  
قال العجوز الطريف : وعند من غيرنا نحن الشيوخ تطاع  
الأوامر والنواهي الأدبية حقاً طاعتها ؟ عند من غير الشيوخ  
تقدس مثل هذه الحكم العالية : لا تمتد على أحد ... لا تنسد  
امرأة على زوجها ...

\*\*\*

قال المحدث : ونحكنا جميعاً ، وكان العجوز (ن) من الآيات  
في الظرف والنكته ، فقال : تظنني يا بني في السبعين ، فوالله  
ما أنا بيملي في السبعين ، والله والله  
قال (م) : لقد أهدر الشيخ (١) يا بني فان هذا من خرفة  
فلا تصدقه

قال (ن) : والله ما خرفت وما قلت إلا حقاً ، فهنا ما  
عمره خمس سنوات فقط وهو أسنانى ...  
قلت : « وربنا وربت » سنة ١٨٩٥ ؟  
قال الأستاذ (م) : أنت يا بني من المجددين ، فاهواك في  
القديم وما شأنك به ؟

وما كاد العجوز (ن) يسمع هذا حتى طرقت بعينيه (٢)  
وحدد بصره الى وقال : أئنك لانت هو ؟ لعمري إن في عينيك  
لضجيجاً وكذباً وجدالاً واحتيالاً وزعماً ودعوى وكفراً والحاداً  
ولعمري ...  
قطعت عليه وقلت : « لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون » ،  
لقد وقع التجديد في كل شيء إلا في الشيوخ أجساماً والشيوخ  
عقولاً ؛ فهؤلاء وهؤلاء عند النهاية ، وغير مستنكر من ضعفهم  
أن يدينوا بالماضي فان حياتهم لا تلمس الحاضر إلا بضعف

قال العجوز : رحم الله الشيخ (ع) . كان هذا يا بني رجلاً  
ينسخ للعلماء في زمننا القديم ، وكان يأخذ عشرة قروش أجراً  
على الكراسة الواحدة ، وهو ردى ، الخبط ، فاذا ورق لأديب ولم  
يسجبه خطه فكلمه في ذلك تعاقب الشيخ به وطالبه بمشرين  
قرشاً عن الكراسة ، منها عشرة للكتابة وعشرة غرامة لاهانة  
الكتابة ...

نعم يا بني إن للماضي في قلوبنا مواقع يتزل فيها فيتمكن ،

(١) أى أخطأ في الرأي من تأخير الكبر

(٢) أى حرك أظانها .

قال محدثي : ولما سئلت لها أيها العجوزان : أريد أن أسافر  
إلى سنة ١٨٩٥ ؛ نظر إلى العجوز الطريف (ن) وقال : يا بني  
أحسب رؤيتك إياي قد دنت بك من الآخرة ... فتريد أن  
تلوذ بأخبار شبابنا لتنظر لنا وفينا روح الدنيا  
قال الأستاذ (م) : وكيف لا تربه الآخرة وأكثرك الآن  
في « المجهول » ؟

قال : ويحك يا (م) لا تزال على وجهك مسحة من الشيطان  
هنا وهنا ؛ كأن الشيطان هو الذي يصلح في داخلك ما اختل  
من قوانين الطبيعة ، فلا تستبين فيك السن وقد نيفت  
على السبعين ، وما أحب الشيطان في تنظيفك إلا كالذي  
يكنس بيته ...

قال (م) : فأنت أيها العجوز الصالح بيت قد تركه الشيطان  
وعلق عليه كلمة (للإبحار) ....

فضحك (ن) وقال : تالله إن الهرم لهو إعادة درس الدنيا ،  
وفهمها مرة أخرى فهماً لا خطأ فيه ، إذ ينظر الشيخ بالعين  
الظاهرة ، ويسمع بالأذن الظاهرة ، ويلبس باليد الظاهرة ...  
وتالله إن الشيطان لا معنى له إلا أنه وقاحة الأعصاب  
قال (م) : فأنت أيها العجوز الصالح انما أصبحت

(١) الجمهور من أهل اللغة على أن (العجوز) وصف خاص بالمرأة إذا  
شاخت وهزمت ، ولكن جاء في اللسان : « يقال للرجل عجوز » وقوله  
صاحب التاج عن الصانغان . ونحن على هذا الرأي ، ولو لم يأت فيه نس عن  
العرب لا بدعناه وزدناه في اللغة ؛ وجهه عندنا أن الرجل والمرأة إذ بانا  
الهرم فقد اختلفت الكورة والأوتة فلم يعودا رجلاً وامرأة ، فاستويا في  
الميز فكان الرجل قتيلاً أن يشارك المرأة في وصفها ، فيقع اللفظ عليهما جميعاً .  
ولما امتنع العرب أن يقولوا للرجل (عجوز) وخصوا ذلك بالمرأة تعسفاً  
وظلماً وطنباناً كدأبهم مع النساء . فاذا شاخت المرأة فقد بطلت أوتها  
عندم وبجرت عن حاجة الرجل وبجرت في كثير ونقته الطبيعة وبرأت منها ،  
أما الرجل فبالخلاف لأنه رجل وإذا شاخ وبطل وبجرت ولم يستطع أن يكابر  
في المعنى — كابر في اللفظ ... وإي أن يقال إنه (عجوز) وزعم أن ذلك  
خاص بالمرأة ...

إلا إن هذا تزوير في اللغة ، وإن كان للرجال عليهن درجة فذلك في  
أوصاف القدرة لا في أوصاف العجز

يهدم من صاحبه - يهدم في الكون بصاحبه ؛ ففيها أيضاً القانون الآخر الذي يجعل الفكر الصحيح السامى حين يبني من أهله - يبني في الكون بأهله

\*\*\*

قال المعجوز ( ن ) : زعموا أن أحد سلكي الكهرباء كان فيلسوفاً مجدداً فقال للآخر : ما أراك إلا رجسماً ، إذ كنت لا تتبعني أبداً ولا تتصل بي ولا تجرى في طريقي ؛ ولن تفلح أبداً إلا أن تأخذ مأخذى وتترك مذهبك الى مذهبي . فقال له صاحبه : أيها الفيلسوف العظيم ، لو أنى اتبعتك لبطنا معاً فما أذهب فيك ولا تذهب في ؛ وما عملتكَ تشتمني في رأيك إلا بما تمدحني به في رأيي

قال المعجوز : وهذا هو جوابنا إذا كنا رجمين عندهم من أجل الدين أو الفضيلة أو الحياء أو العفة الى آخرها والى آخره . ونحن لا نرى هؤلاء المجددين عند التحقيق إلا ضرورات من مذاهب الحياة وشهواتها وحماقاتها تلبست ببعض المقول كما يتلبس أمثالها بعض الطباع فترى بها . وللحياة في لغتها العملية مترادفات كالترادفات اللفظية تكون الكلمتان والكلمات بمعنى واحد ، فالخرَّب والخرِّف والمجدِّد بمعنى

كل مجدِّد يريد أن يضع في كل شيء قاعدة نفسه هو ، فلو أطلعناهم لم تبق لشيء قاعدة .

قال الأستاذ ( م ) إن هذه الحياة الواحدة على هذه الأرض يجب أن تكون على سننِّها وما تصلح به من الضبط والاحكام ، والجلب لها والدفع عنها والحفاظة عليها بوسائلها الدقيقة الموزونة المقدرة ، والسهولة في عملها الصعبة في تديرها . فعلى نحو مما كانت الحياة في بطن الأم يجب أن نعيش في بطن الكون بحدود مرسومة وقواعد مهياة وحيز معروف ؛ وإلا بقيت حركات هذا الانسان في معناها حركات الجنين ، يرتكض ليخرج عن قانونه . فان استمر عمله التي به مسخاً مشوهاً من جسد كان يعمل في تنظيمه ، أو قذف به ميتاً من جسم كان كل ما فيه يعمل لحياته وصيانه

هذا الجسم كله يشرع للجنين مادام فيه ، وهذا الاجتماع كله يشرع للفرد مادام فيه ؛ فكيف يكون أمر من أمر إذا كان الجنين مجدداً لا يعجبه مثلاً وضع القلب ولا يرضيه عمل

ولكن قاعدة ( اثنان واثنان أربعة ) لا تمد في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل ، والحقيقة بنفسها لا باسمها ، وليست تحتاج النار إلى ثوب المرأة إلا في رأى المغفل قال الأستاذ ( م ) وكيف ذلك ؟

قال المعجوز : زعموا أن مغفلاً كان يرى امرأته تُضرم الحطب فتنفخ فيه حتى يشتعل ، فاحتاج يوماً في بعض شأنه إلى نار ولم تكن امرأته في دارها ، فجاء بالحطب وأضرم فيه وجعل ينفخ ، وكان الحطب رطباً فذخن ولم يشتعل . ففكر المغفل قليلاً ثم ذهب فلبس ثوب امرأته وعاد إلى النار ، وكان الحطب قد جف فلم يكده ينفخ حتى اشتعل وتضرم . فأيقن المغفل أن النار تحاف امرأته . . . وأنها لا تضرم إلا إذا رأت ثوبها

\*\*\*

قال الأستاذ ( م ) : إن الكلام في القديم والجديد أصبح عندنا كفتون الحرب تُبدع ما تبدع لتغيير ما لا يتغير في ذات نفسه ، وعلى ما بلغت وسائل الموت في القديم والجديد فانها لم تستطع أن تميم أحداً مرتين

لقد قرأت يا بني كثيراً فلم أر إلى الآن من آثار المجددين عندنا شيئاً ذا قيمة . ما كان من هراء وتقليد زائف فهو من عندهم ، وما كان جيداً فهو كالفئاس في ملك اللص لها اعتباران إن كان أحدهما عند مقتنيها . . . فالآخر عند القاضي (١)

كلا أيها اللص لن تسمى مالكاً بهذا الأسلوب ؛ إنما هي كلمة تسخر بها من الناس ومن الحق ومن نفسك

يقولون : السلم والفن والفريزة والشهوة والماطفة والمرأة وحرية الفكر واستقلال الرأي ونبذ التقاليد وكسر القيود إلى آخره وإلى آخرها . . . فهذا كله حسن مقبول سائغ في الورق إن كان في مقالة أو قصة ، وهو سائغ كذلك حين ينحصر في حدوده التي تصلح له من ثياب المثليين أو من بعض النفوس التي يمثل بها القدر فصوله الساخرة أو فصوله المبكية ، ولكنهم حين يخرجون هذا كله للحياة على أنه من قوتها الموجبة ، ترده الحياة عليهم بالقوة السالبة ، إذ لا تزال تخلق خلقها وتعمل أعمالها بهم وبغيرهم ، وإذا كان في الانسانية هذا القانون الذي يجعل الفكر المريض حين

(١) في كتابنا ( تحت راية القرآن ) كلام كثير عن التجديد والمجددين وما نراه من ذلك حقاً وما نراه باطلاً

## تجربة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

ماذا ترى يصنع رجل يمشق للمرة الأولى في حياة صاحبه مضطربة، ولكنها على كثرة ما جرب فيها خلت من الحب ونجت من زلزله للنفس؟؟

عن هذا كان يسأل «ميم» - وحسبنا من اسمه حرف واحد - وهو جالس إلى مكتبه، والفتاة التي يجيبها قبائلته على الشرفة. والجديد من الأمر يتطلب جديداً من التصرف والتدبير، ولو كانت له خبرة بالحب، أو سبق له به عهد، لقاها حاضره على ماضيه، وأجراه في مجاربه. وغريب أن يتقاضى شياؤه وهو فارغ القلب، وأن يدركه الحب ويعمر فؤاده بعد أن شارف الكهولة ووقف على بابها، وأخذ الأبيض يختلط بالأسود، وبدأ الزمن يرسم خطوطه!! وإن كان هو لا يحس شيئاً من ذلك ولا يباليه، ولا يعرف إلا أنه ما زال في عنفوان الفتوة

وألقى القلم واضطجع وقال يناجي نفسه، وهو يضحك ساخراً: «هل أصنع كما يصنعون في هذه الروايات الكثيرة التي قرأتها؟ وعلى ذكر ذلك - ماذا ترى أبطال هذه الروايات يصنعون في حالات كهذه؟ لقد نسيت والله: فكأنني ما قرأتها ولا وقعت عيني عليها... وهبني كنت أذكر ذلك فهل يصح في دنيا الحقيقة ما يصف الخيال؟»

واستطرد من هذا إلى القول بأن الروايات ليست - ولا يمكن أن تكون - خيلاً بحتاً، وشيئاً يخلقه الانسان من لا شيء، ولا يبحر فيه إلى أصل من حقائق الحياة، وأنكر قدرة الانسان على هذا الخلق، وذهب إلى أن كل ما يسمعه هو أن يلقى القصة من جملة ما شهد وجرب وسمع، وأن يكون الشخصيات من أشتات ما عرف، فليست القصص خيلاً، ولا ما تصفه محالاً، وإذن يكون تقليدها ميسوراً... أودع كونه ميسوراً أو غير ميسور، وقل إنه لا يكون شططاً

«ولكن القصص بمعنى فيها واضعها بترتيب الأحوال والمواقف على النحو الذي يؤثره هو، والذي يراه أوفق لغايته، ومن عسى يرتب لي دنياي كما يرتب مؤلف القصة دنيا أبطاله؟؟»

الأم، ولا يريد أن يكون مقيداً لأنه حر؟

أنظر إلى هذا الشرطي في هذا الشارع يضرب مقبلاً كيدبر ومدبراً ليقبل، وقد ألبسته الحكومة ثياباً يميز بها، وهي تتكلم لغة غير لغة الثياب وكأنها تقول: أيها الناس إن ههنا الانسان الذي هو قانون دائماً، والذي هو قوة أبداً، والذي هو سجن حيناً، والذي هو الموت إذا اقتضى الحال

أحسب يا بني هذا الشرطي قائماً في هذا الشارع كجدران هذه المنازل؟ كلا يا بني. إنه واقف أيضاً في الارادة الانسانية وفي الحس البشرى وفي العاطفة الحية. فكيف لا يمحوه المجددون مع أنه في ذاته ارغام بمعنى، وإكراه بمعنى غيره، وقيد في حالة، وبلاء في حالة أخرى؟

لكنه ارغام ليقع به التيسير، وإكراه لتتعلق به الرغبة، وقيد لتتجدد به الحرية؛ وكان هو نفسه بلاء من ناحية ليكون هو نفسه عصمة من الناحية التي تقابلها

يا بني! كل دين صالح، وكل فضيلة كريمة، وكل خلق طيب، كل شيء من ذلك إنما هو على طريق الصالح الانسانية كهذا الشرطي بعينه؛ فاما تخريب العالم أيها المجددون وإما تخريب مذهبكم....

\*\*\*

قال العجوز (ن): أنبحث عما تسلط به أم نبحت عما يتسلط علينا. وهل تريد أن تكون غرارتنا أقوى منا وأشد، أو نكون نحن أشد منها وأقوى؟ هذه هي المسئلة لا مسئلة الجديد والقديم

فان لم يكن هناك المثل الأعلى الذي يعظم بنا ونعظم به، فسدت الحس وفسدت الحياة. وكل الأديان الصحيحة والأخلاق الفاضلة إن هي إلا وسائل هذا المثل الأعلى للسمو بالحياة في آمالها وغاياتها عن الحياة نفسها في وقائنها وممانيتها

\*\*\*

قال المحدث: ورأيتني بين العجوزين كأني بين نابين؛ ولم أكن مجدداً على مذهب ابليس الذي رد على الله والملائكة وظن لحقه أن قوة المنطق تغير ما لا يتغير. فسكت حتى إذا فرغنا من هذه الفلسفة قلت: والرحلة إلى سنة ١٨٩٥؟

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

( لها بقة - طنطا )